الحجاج بن يوسف الثقفي

عند أهل السنة

د. عبد العزيز بن سعد الدغيثر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجاج بن يوسف الثقفي عند أهل السنة

كتبه الدكتور عبدالعزيز بن سعد الدغيثر في التاسع من شوال ١٤٤٧

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد أنعم الله علينا في بلادنا السعودية بشيوع مذهب أهل السنة المتوسط بين الرافضة والناصبة، ثم نبتت نابتة بسبب ظلم الرافضة لأهل السنة في العراق و إيران وسوريا ولبنان يميلون للنصب، والتطاول على أبي الحسن علي والسبطين: الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، ويعظمون بعض ظلمة بني أمية، ومن ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أجمع أهل السنة على أنه ظالم سفاك للدماء، ثم زاد الطين بلة نشر مسلسل الحجاج بن يوسف وإظهاره شجاعا قويا فصيحا، فوصل تأثير هذه البدع لمجتمعنا، بدأ بعض الشباب يشككون في رأي علماء أهل السنة في الحجاج، فكتبت لهم هذا البحث.

المطلب الأول: عقيدة الحجاج بن يوسف الثقفي

قال ابن كثيررحمه الله في "البداية والنهاية" (١٥٣/٩):

"كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارا عنيدا، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة.

وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها و أقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات" انتهى.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي قال: حدثني يحيى بن آدم بمكة، و ابن عيينة حي. قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي رزين. قال: إن كان الحجاج على هُدى، إني إذًا لفي ضلال مبين. «العلل» (١١٦٢).

وأما رأي إمام أهل السنة فقيه بني بكر بن و ائل الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله في الحجاج الثقفي:

وفي - السنة للخلال (٨٥٣):

قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل: «كان الحجاج بن يوسف رجل سوء»

المطلب الثاني: خوض الحجاج بن يوسف الثقفي في الدماء المحرمة

وعَنْ أَبِي نَوْفَلٍ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِعَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّعَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّعَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَفَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا، قَوَّامًا، وَصُولًا لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لَأُمَّةٌ خَيْرٌ، ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ؛ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ؛ فَأَعَادَ عَلَيْهَاالرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ، قَالَ: فَأَبَتْ ؛ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي، قَالَ، فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتِيَّ فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ، قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَ أَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ، أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الْآخَرُفَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ؛ فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُفَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا. رواهُ مسلمٌ.

" وَمُبِيرٌ" : أَيْ مُهْلِكٌ يُسْرِفُ فِي إِهْلَاكِ النَّاسِ يُقَالُ: بَارَ الرَّجُلُ يَبُورُ بَوْرًا. فَهُوَ بَائِرٌ، وَ أَبَارَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ مُبِيرٌوَهُوَ الْحَجَّاجُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْإِهْلَاكِ مِثْلَهُ.

في حديث ابْنِ عُمَرَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌرواه الترمذي (٢٢٢٠)، وقال: "يُقَالُ: الكَذَّابُ المُخْتَارُبْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالمُبِيرُ: الحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ...، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ،... " انتهى.

وكان يقتل لأسباب تافهة فعن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج يقول للناس: "والله ولو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم،

ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه، ولأحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير".

قال ابن دقيق العيد:

أربعة في الإسلام قَتل كل واحد منهم ألف ألف (يعني مليون) إنسان، وهم: الحجاج بن يوسف، والمختار، و أبو مسلم الخراساني، وبابك الجُرمي (كذا بالجيم).

روى الترمذي في سننه (٢٢٢٠) عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: " أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ ".

وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئتنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة.

"تاريخ دمشق" (١٨٥/١٢)

وقال الذهبي رحمه الله:

" كان ظلوما جبارا ناصبيا خبيثا سفاكا للدماء.

وقد نقلت طرائف في ظلم الحجاج والرعب من أفعاله، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي يستحم في نهر فأشرف على الغرق فأنقذه أحد المسلمين وعندما حمله إلى البر قال له الحجاج: أطلب ما تشاء فطلبك مجاب فقال الرجل: ومن أنت حتى تجيب لي أي طلب ؟ قال: أنا الحجاج الثقفى قال له: سألتك بالله أن لا تخبر أحداً أنني أنقذتك.

المطلب الثالث: تضييع الحجاج بن يوسف الثقفي للصلاة وظلمه في أخذ الزكاة:

وكان مضيعا للصلوات، مفرطا فيها، لا يصليها لوقتها:

وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئتنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة.

"تاريخ دمشق" (١٢/١٨٥).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسننه، فإنه كان يصلي الصلاة لغيروقتها، ويأخذ الزكاة من غيرحقها، وكان لما سوى ذلك أضيع ".

"تاريخ دمشق" (١٢ / ١٨٧).

وقال الذهبي رحمه الله:

" كان ظلوما جبارا ناصبيا خبيثا سفاكا للدماء.

وكان ذا شجاعة و إقدام ومكرودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن.

قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله.

فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله ؛ فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان.

وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء " انتهى.

"سير أعلام النبلاء" (٤ / ٣٤٣).

المطلب الرابع: إذلال الحجاج بن يوسف الثقفي للصحابة

وقد اشتهرت قلة أدب الحجاج مع الصحابة، ومثال ذلك ما ثبت عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك؟ تعربت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو. رواه البخاري (٦٦٧٦) ومسلم (١٨٢٦).

و" بَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى سهل بن سعد السَّاعِدِيّ فَقَالَ مَا لَكَ لَمْ تَنْصُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَان فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ قَالَ كَذَبْتَ فَخَتَمَ فِي عُنُقِهِ ".

وروي أنه " جَاءَ جَابِرُبْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْحَجَّاجِ فَلَمْ يُعْطِهِ يَدَهُ لِلسَّلامِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْتِمُوا يَدَهُ ".

انظر مثلا " المحن " لأبي العرب التميمي (ص ٣٣٣ – ٣٣٤)، و" الاستيعاب " لابن عبد البر (٢ / ٦٦٤)، و" البداية والنهاية " لابن كثير (١٢ / ٢٢٨ – ٢٢٩).

وقد ورد عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج يقول للناس: "والله ولو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم، ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه،ولأحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير.

و ابن أم عبد هو الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقصة الحجاج مع أنس بن مالك رضي الله عنه مشهورة، فقد دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف الثقفي ذات يوم، فلما رآه الحجاج قال له:

إيه يا أنيس يوم لك مع علي ويوم لك مع ابن الزبيرويوم لك مع ابن الأشعث، والله لاستأصلنك كما تستأصل الشأفة ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة ولأعصبنك عصبة السنمة (وهي نوع من الشجر).

فقال الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه بنوع من التعجب:

إياي.. يعني الأمير أصلحه الله ؟

فقال الحجاج إياك صك الله سمعك.

فقال أنس بن مالك حينها:

إنا لله و إنا إليه راجعون والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قُتلت ولا أي ميتة مت.

ثم خرج بعدها من عند الحجاج وكتب إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان يخبره بما قاله الحجاج له.

فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك أما بعد:

فإن الحجاج قال لي هجرًا، وأسمعني نكرًا، ولم أكن لذلك أهلاً، فخذ لي على يديه فإني أمت بخدمتي لرسول الله صلّ الله عليه وسلم وصحبتي إياه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلما بلغ الكتاب عبدالملك بن مروان غضب غضبًا شديدًا واستنكر فعلة الحجاج، ثم بعث إلى إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر الذي كان صديقًا مقربًا للحجاج، وأعطاه كتابين أحدهما للحجاج والأخر لأنس بن مالك، وقال له انطلق إلى العراق و ابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله صلّ الله عليه وسلم، و أبلغه سلامي ثم قل له أنني كتبت إلى الحجاج الملعون كتابًا لو قرأه كان أطوع لك من أمتك، والأمة هي الخادمة.

رد أمير المؤمنين على كتاب أنس بن مالك:

وكان الكتاب الذي بعث به عبد الملك بن مروان لأنس بن مالك يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلّ الله عليه وسلم أما

بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكاتك الحجاج، وما سلطته عليك، ولا أمرته بالإساءة إليك، فإن عاد لمثلها فأكتب إليّ بذلك أنزل به عقوبتي، وتحسن لك معونتي والسلام.

فلما قرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كتاب أمير المؤمنين قال: جزاه الله عني خيرًا فقد كان هذا هو ظني به ورجائي منه، وبعدها انصرف إسماعيل حامل الكتابين إلى الحجاج بن يوسف ودخل عليه، فرحب به الحجاج ولكن حينما أخبره بما جاء فيه استوى الحجاج في جلسته وقرأ خطاب أمير المؤمنين وهو يتعرق، ولما أنهاه تعجل في الذهاب إلى أنس بن مالك لكي يسترضيه.

كتاب عبد الملك بن مروان إلى عامله الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد، فإنك عبد طمت بك الأمور فسموت فيها، وعدوت طورك وجاوزت قدرك، وركبت داهية إدًا، وأردت أن تبورني، فإن سوغتكها مضيت قدمًا، وإن لم أسوغها رجعت القهقري.

فلعنك الله من عبدًا أخفش العينين منقوص الجاعرتين، أنسيت مكاسب أبائك بالطائف وحفرهم الآبار ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستفرية بعجم الزبيب والله لأغمرنك غمر الليث الثعلب والصقر الأرنب، وثبت على رجل من أصحاب رسول الله صلّ الله عليه وسلم بين أظهرنا، فلم تقبل له إحسانه ولم تتجاوز له عن إساءته جرأة منك على الرب عزوجل واستخفافًا منك بالعهد.

والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلا خدم عزير بن عزرة وعيسى بن مريم لعظمته وشرفته وأكرمته، فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله صلّ الله عليه وسلم ثماني سنين، يطلعه علي سره ويشاوره في أمره، ثم هو مع هذا بقيه من بقايا أصحابه، فإذا قرأت كتابي فكن أطوع له من خفه ونعله وإلا أتاك منى سهم بكل حتف قاض ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

وحينما أنهى الحجاج قراءة كتاب أمير المؤمنين ارتعدت فرائضــه، وذهب إلى أنس بن مالك رضي الله عن وأرضاه مخاطبًا إياه بكنيته: يا أبا حمزة، وهي كنية كان رسول الله صلّ الله عليه وسلم يقولها له، وأخذ يسترضيه ويطلب عفوه حتى صَلُح بينهما الأمر.

البداية والنهاية / ابن كثير ٩ / ١٥٤.

ومن المخازي المروية عنه ما في صحيح البخاري برقم ٩٦٦ عَنْ سَــعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ حِينَ أَصَــابَهُ سِــنَانُ الرُّمْحِ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ، فَلَزِقَتْ قَدَمُهُ بِالرِّكَابِ، فَنَزَلْتُ، فَنَزَعْتُهَا وَذَلِكَ بِمِنًى، فَبَلَغَ الحَجَّاجَ فَجَعَلَ يَعُودُهُ، فَقَالَ الحَجَّاجُ: لَوْ نَعْلَمُ مَنْ أَصَــابَكَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «أَنْتَ أَصَبْتَنِي» قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «حَمَلْتَ السِّلاَحَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ يُحْمَلُ فِيهِ، وَأَدْخَلْتَ السِّلاَحَ الحَرَمَ وَلَمْ يَكُنِ السِّلاَحُ يُدْخَلُ الحَرَمَ» .

وفي إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري :

وكان سبب ذلك أن عبد الملك كتب إلى الحجاج: أن لا تخالف ابن عمر، فشقّ عليه ذلك، وأمر ذلك الرجل بما ذكر. حكاه الزبيري في الأنساب.

وفي كتاب الصريفيني: لما أنكر عبد الله على الحجاج نصب المنجنيق، يعني: على الكعبة، وقتل عبد الله بن الزبير، أمر الحجاج بقتله، فضربه رجل من أهل الشام ضربة، فلما أتاه الحجاج يعوده قال له عبد الله: تقتلني ثم تعودني؟ كفى الله حكمًا بيني وبينك. فصــرّح أنه أمر بقتله، و أنه قاتله، بخلاف ما حكاه الزبيري فإنه غير صريح.

المطلب الخامس: سبب تكفير بعض علماء التابعين للحجاج بن يوسف الثقفي

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/٢١١) قال: (وكفّره جماعة منهم سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم).

وسبب ذلك عبارات صدرت منه فيها استخفاف بالشريعة.

مثال ذلك قول الله تعالى:﴿ولا تزروازرة وزر أخرى﴾ وقال الحجاج: (لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالا).

وقول الحجاج عن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:

: (ويا عذيري من عبد هذيل يزعم أن قراءته من عند الله والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزل الله عزوجل على نبيّه ﷺ)(والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه).

واستحلال الحجاج للدماء بقوله: (لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من المسجد فخرجوا من باب آخر لحلّت لي دماؤهم وأموالهم).

وإلزامه بطاعة الحجاج دون استثناء، فقال: اسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك.

وقد سئل الإمام التابعي الفقيه مجاهد بن جبر المكي عن الحجاج فقال:

(تسألوني عن الشيخ الكافر؟)

وقال الإمام الشعبي لعمر بن قيس:

(يا عمر شمّرت ثيابك وحلّلت إزارك وقلتَ: إن الحجاج مؤمن ضال فكيف يجتمع في رجل إيمان وضلال؟

الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله العظيم).

وفي رواية: (أشهد أنه مؤمن بالطاغوت كافر بالله يعني الحجاج).

يراجع: [سنن أبي داود: (٤٦٤١-٤٦٤٥). الإيمان لابن أبي شيبة (٩٧) وحديث الزهري أبي الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن رقم: (٢٧٣-٢٧٦) ومستدرك الحاكم (٥٥٦/٣) وتاريخ ابن عساكر (٢٤٩/٤-٢٥٠) و(٢٣٥/٤-٢٣٦)].

وهذه أسانيد أقوال علماء التابعين في الحجاج:

قال أبو داود في سننه ٤٦٤٣ - حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول: اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالا

ويا عذيري (من يعذرني منه) من عبد هذيل يزعم أن قراءته من عند الله والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه عليه السلام وعذيري من هذه الحمراء يزعم أحدهم أنه يرمي بالحجر فيقول إلى أن يقع الحجر قد حدث أمر فوالله لأدعنهم كالأمس الدابر (المنقطع)، قال فذكرته للأعمش فقال أنا والله سمعته منه.

وقال ابن سعد في الطبقات ٥٣١٦- أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ سُمَيْرٍ قَالَ: خَطَبَ الْحَجَّاجُ الْفَاسِقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:

إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَرَّفَ كِتَابَ اللهِ

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ، كَذَبْتَ، كَذَبْتَ، مَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَلاَ أَنْتَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرِفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ، يُوشِكُ شَيْخٌ أَنْ يُؤْخَذَ فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فَيُجَرَّ قَدِ انْتَفَخَتْ خُصْيَتَاهُ يَطُوفُ بِهِ صِبْيَانُ أَهْلِ الْبَقِيعِ.

وهذه أخبار صحيحة.

قال في تهذيب التهذيب: "وقال طاووس: عجبت لمن يسميه مؤمنا، وكفره جماعة منهم سعيد بن جبيروالنخعى ومجاهد وعاصم بن أبى النجود والشعبى وغيرهم".

قال ابن كثيرفي البداية والنهاية: من الطامات أيضا ما رواه أبو داود: ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، ثنا جرير، وحدثنا زهيربن حرب، ثنا جرير، عن المغيرة، عن بزيع بن خالد الضبي، قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبدا، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاهدنك معهم .زاد إسحاق: فقاتل في الجماجم حتى قتل. انتهى.

وجاء في البداية والنهاية أيضا: وقال الأصمعي: ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا أبو حفص الثقفي قال: خطب الحجاج يوما فأقبل عن يمينه فقال: ألا إن الحجاج كافر، ثم أطرق، فقال: إن الحجاج كافر، ثم أطرق فأقبل عن يساره، فقال: ألا إن الحجاج كافر، فعل ذلك مرارا، ثم قال: كافريا أهل العراق باللات والعزى.

وقال حنبل بن إسحاق: ثنا هارون بن معروف، ثنا ضمرة، ثنا ابن شوذب، عن مالك بن دينار، قال: بينما الحجاج يخطبنا يوما إذ قال: الحجاج كافر، قلنا: ما له؟ أي شيء يريد؟ قال: الحجاج كافربيوم الأربعاء والبغلة الشهباء. انتهى.

وقال ابن كثيرفي البداية والنهاية: وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر-كما قدمنا- فإن كان قد تاب منها، و أقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات، وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثرتلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهرعنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعا في سفك الدماء. فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأموروساترها، وخفيات الصدوروضمائرها. انتهى.

ومن طريف ما يروى أن الحجَّاج وجَد على منبر مكتوبًا: "قل تمتَّع بكُفرك قليلاً إنَّك من أصحاب الجحيم"، فكتب تحته: "قل موتوا بغيظكم إنَّ الله عليم بذات الصُّدور".

المطلب السادس: مذهب الحجاج في تعظيم طاعة الحكام مأخوذ من ديانات شرقية

في السنن الكبرى للبيهقي (٣٥٦/١٠): قال الإمام الاوزاعي: "يُترك من قول أهل مكة المتعة والصرف، ومن قول أهل المدينة السماع و إتيان النساء في أدبارهن، ومن قول أهل الشام الجبروالطاعة، ومن قول أهل الكوفة النبيذ والسحور". وينظر: تلخيص الحبير (١٨٧/٣).

وكان الحجاج - ومعه عبد الملك بن مروان - يقولان: "ننهى عن ذكر عمر الفاروق - رضي الله عنه - فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية"! (البداية ٩/ ٦٦).

ومن خطب الحجاج: "اسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك". (أخرجه أبو داود ٤٦٤٣).

وخطب الحجاج: "اسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك". (أخرجه أبو داود ٤٦٤٣)

وفي وصيته أنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك عليها يحيى، وعليها يموت، وعليها يبعث (البداية ٩/ ١٣٩).

وهذا المذهب الغالي في طاعة بني مروان شاع في الشام، قال عبد الرحمن بن يزيد: لما توفي عمر بن عبد العزيز، قال يزيد بن عبد الملك: سيروا بسيرته، فأتي بأربعين شيخًا شهدوا أن الخلفاء ليس عليهم حساب ولا عقاب. (سير أعلام النبلاء، الذهبي : ٥ / ٦٠٢).

وقال ابن تيمية: «كثير من أتباع بني أمية -أو أكثرهم- كانوا يعتقدون أن الإمام لا حسابَ عليه ولا عذاب، وأنَّ الله لا يؤاخذهم على ما يُطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك، وكلامهم في ذلك معروف كثير. وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فجاء إليه جماعة مِن شيوخهم، فحلَفوا له بالله الذي لا إله إلا هو، أنه إذا ولَّى الله على الناس إمامًا؛ تقبَّل الله منه الحسنات، وتجاوز عنه السيئات، ولهذا

تجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقًا، وأن مَن أطاعه فقد أطاع الله. ولهذا كان يُضرَب بهم المثل، يقال: «طاعة شامية». وحينئذ فهؤلاء يقولون: إن إمامهم لا يأمرهم إلا بما أمرهم الله به، وليس فيهم شيعة، بل كثير منهم يبغض عليًّا ويسبُّه». شيخ الإسلام/ منهاج السنة جـ٦ صـ٤٣١.

وقد سأل الوليد بن عبد الملك الإمام الزهري - رحمه الله - عن حديث "إن الله إذا استرعى عبدا الخلافة كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات" ، فقال: هذا كذب ، ثم تلا قوله تعالى: {يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب} ص٢٦ ، فقال الوليد: إن الناس ليغروننا عن ديننا. (فتح الباري ١٣/ ١١٣).

وكان الإمام ابن تيمية – رحمه الله – يعد هذا المذهب من الإرجاء، فقال : : "المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً" (مجموع الفتاوى، ابن تيمية : ٢٨ /٥٠٨).

وقال عنهم بأن من عقيدتهم: "أن الإمام تجب طاعته في كل شيء ، وأن الله إذا استخلف إماما تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات" ثم قال بعد أسطر قليلة: " ولهذا سأل الوليد بن عبد الملك عن ذلك بعض العلماء ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين ، أنت أكرم على الله أم داود ، وقد قال له : ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (سورة ص : ٢٦) ... وغلط من غلط منهم من جهتين : من جهة أنهم كانوا يطيعون الولاة طاعة مطلقة ، ويقولون إن الله أمرنا بطاعتهم ، الثانية : قول من قال منهم : إن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات ". (منهاج السنة النبوية، ابن تيمية : ٦ / ٢٠٠).

وقد ترسخت هذه العقيدة الغالية بعد هزيمة الحجاج لابن الأشعث، قال قتادة: "إنما أُحدِث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث" (السنة، عبد الله بن الإمام أحمد : ١ / ٣١٩).

وفي خطورة هذا المذهب قال النخعي: " لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة، تركتْ المرجئةُ الدين أرق من ثوب سابري" (السنة ، لعبد الله بن الإمام أحمد : ١/٣١٣).وقال إِبْرَاهِيم النخعي: " الخوارج أعذرعندي من المرجئة" (السنة، عبد الله بن الإمام أحمد: ١ / ٣١٣).

وقد وصل بهم الحال للتغليظ والمعاقبة لمن يأمر الولاة بالحق، قال ابن تيمية – رحمه الله -: "وآخرون من المرجئة وأهل الفجور قد يرون ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظنا أن ذلك من باب ترك الفتنة" (الآداب الشرعية، ابن مفلح : ١ / ١٥٧).

ولذا فقد كان كثير من ولاة بني مروان يحبون هذه الطاعة وهذا الغلو، قال رقبة بن مصقلة - أحد رواة البخاري: "وأما المرجئة فعلى دين الملوك!" (الإبانة الصغرى، ابن بطة، ص١٦٣).

ووصلت محبة هذه البدعة لعصر المأمون، فقد نقل ابن كثير عن النضر بن شميل قال: سألني المأمون: ما الإرجاء؟ فقلت: " دين يو افق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم" (البداية والنهاية، ابن كثير: ١٤ /٢٢١).

وصارت هذه البدعة عيبا من عيوب رواة الحديث، قال يحيى بن معين عن يونس بن بكير: ثقة إلا أنه مرجئ يتبع السلطان (سير أعلام النبلاء ، الذهبي: ٩ / ٢٤٧).

وأصل هذه البدعة والنحلة من ديانات الشرق، و انتقلت هذه البدعة لبعض الجهال، قال العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني رحمه الله: «وفي فهرست ابن النديم عند ذكر ديانات أهل الهند: ومنهم أهل ملة يقال لها الراحمرنية، وهم شيعة الملوك ومن سنتهم في دينهم معونة الملوك، قالوا: الله الخالق تبارك وتعالى ملكهم وإن قتلنا في طاعتهم مضينا إلى الجنة.

وفيها في مذاهب أهل الصين: قال: وعامتهم يعبدون الملك ويعظمون صورته ولها بيت عظيم في مدينة بغران.

أقول: قد اشتهر قريب من هذا في رعاع الشام بالنسبة إلى خلفاء بني أمية، كانوا يزعمون أن الخليفة لا يحاسب ولا يعاقب وأن طاعته فريضة على الناس وإن أمر بمعصية الله عزوجل وفي ترجمة الحجاج من تهذيب الكمال للمزي وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يرومه ويجادل على ذلك.

قلت: وعن هذا والله أعلم كفره أئمة السلف». كتاب العبادة: (٣٣٥).

المطلب السابع: نهاية الظالم الحجاج بن يوسف الثقفي آية لكل ظالم

عاش الحجاج بعد مقتل سعيد بن جبير أياما معدودة، وقد دعى عليها: اللهم، لا تسلطه على أحد يقتله بعدي

فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول: يا عدو الله، لم قتلتني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جبير! ما لي ولسعيد ابن جبير!. وكان يقول: ما لي ولسعيد. كان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحمًا وعلقه في خيط وسرحه في حلقة وتركه ساعة، ثم أخرجه وقد علق به دود كثير، وسلّط عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارًا وتدنى منه حتى تحرق وهو لا يحس بها.

وقتل الناس واستباحة أموالهم كم الذنوب المتعدية التي لا تكفرها التوبة....

وحقوق الغير عظيمة فكيف يصنع بدم ابن الزبير و ابن جبير وأذاه لأنس وتسببه في قتل ابن عمر رضي الله عنهم كما في البخاري:

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول:

له حسنات

تذوب في بحار سيئاته.

حرمة المؤمن أعظم من الكعبة.

وقد قتل وظلم الكثير

وحسابه عند الله.

ويكفيه قتله للخليفة الفاضل الصحابي الجليل عبدالله قن الزبير والفقيه العالم سعيد بن جبير وأمره بقتل ابن عمر كما في البخاري وأذاه لأنس، وعند الله تجتمع الخصوم.

المطلب الثامن: فرح الصالحين بهلاك الحجاج بن يوسف الثقفي

لمّا بلَغَ عمرَبنَ عبد العزيزرحمه الله موتُ الحَجَّاج، خَرَّساجدًا..

= الزيادات للسيوطي.

قال شيخنا ابن بازرحمه الله عن الحجاج: عاصٍ ظالمٌ، وليس بكافر.

مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز٢٨/٢٧٠.

وقال السائل لسماحة شيخنا الامام ابن بازرحمه الله تعالى: هل يجوزالدعاء للحجاج ابن يوسف؟ فقال الامام ابن باز: تدعوله؟ فقال السائل: نعم، فقال الشيخ: عسى ما ندعو عليه!!! وهو يتعجب من السؤال.

" الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري " ج٤/ ٣٨٨

قال ابن كثيررحمه الله:

"كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارا عنيدا، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة.

وقد صحح الألباني حديث ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: ما أطيبك، وأطيب ريحك! ما أعظمك، وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه.أخرجه ابن ماجه.

وحديث ابن عباس البيهقي في الشعب، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: ٣٤٢٠.

وقد أكثرالحجاج من الدماء، وهو مبيربقول النبي ﷺ.

عن أسماء بنت أبي بكررضي الله عنهما أنها قالت للحجاج: (أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُفَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ).

والمبير: المهلك، الذي يسرف في إهلاك الناس.

قال الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء" (٤ / ٣٤٣):

فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله ؛ فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان.

وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء ".

المطلب التاسع: استشكال وجود حسنات للحجاج الثقفي مع إجماع أهل السنة على ذمة

على أهل السنة اتباع علماءنا أحمد فمن بعده من ابن كثيروالذهبي وشيخنا ابن بازرحمهم الله، وقد صدق الله:

فبهداهم اقتده.

والحجاج ظلوم جهول

وسيحاسبه ربه على ظلمه وجهله

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لَتُؤَدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقادَ للشاةِ الجَلْحاءِ من الشاة القَرْناءِ).

وبعض المعجبين بشخصيته يقولون: ما الفرق بينه وبين أبي مسلم الخراساني؟

والجواب بأن الظلم واحد، وجريمة القتل تتعلق بحقوق العباد، ولا يقاس فعل الحجاج بأبي مسلم وغيره لما يأتي:

١- التعامل مع صحابة رسول الله ﷺ ليس كغيره.

٢- كل من ظلم مظلمة من نفس أو مال سيلقى مصيره في يوم لا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال ذرة.

٣- من وقع في البدع مت النصب وغيره ليس كغيره.

٤- من ثبت فيه ذم من النبي ﷺ ليس كغيره.

٥- أقوال الحجاج الشنيعة لم ينقل مثلها عن أبي مسلم.

الخاتمة وتتضمن الخلاصة في الحجاج بن يوسف الثقفي

يمكن استخلاص القول في الحجاج بما قاله ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ١٥٣/٩:

"كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارا عنيدا، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة.

وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر، فإن كان قد تاب منها و أقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات. انتهى

وصدق رسول الله ﷺ: أنتم شهداء الله في الأرض

أسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا وأن يحمينا من البدع والشبهات.

والحمد لله رب العالمين

المحتويات

المطلب الأول: عقيدة الحجاج بن يوسف الثقفي ٢

المطلب الثاني: خوض الحجاج بن يوسف الثقفي في الدماء المحرمة..... ٣

المطلب الثالث: تضييع الحجاج بن يوسف الثقفي للصلاة وظلمه في أخذ الزكاة: ٥

المطلب الرابع: إذلال الحجاج بن يوسف الثقفي للصحابة ٧

المطلب الخامس: سبب تكفير بعض علماء التابعين للحجاج بن يوسف الثقفي..... ١١

المطلب السادس: مذهب الحجاج في تعظيم طاعة الحكام مأخوذ من ديانات شرقية..... ١٥

المطلب السابع: نهاية الظالم الحجاج بن يوسف الثقفي آية لكل ظالم..... ١٩

المطلب الثامن: فرح الصالحين بهلاك الحجاج بن يوسف الثقفي..... ٢١

المطلب التاسع: استشكال وجود حسنات للحجاج الثقفي مع إجماع أهل السنة على ذمة ٢٣

الخاتمة وتتضمن الخلاصة في الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٥

المحتويات ٢٦